مبحث تمهيدي

أولا : موضوع الدراسة وعنوانها

ثانيا : هدف الدراسة

ثالثا : أسلوب الدراسة ومصادرها

رابعا : تعريف الربا وحكمه

خامسا : آيات الربا في سورة النساء

سادسا : الوقت الذى استغرقته الدراسة

obeikan.com

obeikan.com

أولا : موضوع الدراسة وعنوانها

الموضـــوع الذى يعمل عليه هو دراسة المنظومة المعرفية لآيات الربا فى القرآن الكريم ، من المعروف أن الربا جاء ذكره فى القرآن الكريم فى سور أربع ؛ الروم وآل عمران والنساء والبقرة . نستهدف تقديم دراسة جديدة بحيث تضاف إلى الدراسات السابقة عن الإعجاز القرآنى وعن الربا فى القرآن الكريم .

عنوان الدراسة هو المنظومة المعرفية لآيات الربا فى القران الكريم ، بهذا العنوان يتحدد نوع الدراسة التي نريد تقديمها . ليس موضوع الدرسة التعرف على تطور التشريع العامل علي الربا كما جاء فى القرآن الكريم مع أن هذا الجانب قد يخدم ، أيضا ليس موضوع الدراسة التعرف على حكم الربا كما جاء فى القرآن الكريم مع أن التعبيرات التى سوف تستخدم قد يجئ بها ما يعرف بهذا الحكم ، كذلك ليس مستهدفا بالدراسة التعرف على الربا كموضوع إقتصادى فى حد ذاته، وإن جاء عن هذا الأمر شئ فى الدراسة . موضوع الدراسة هو المنظومة المعرفية لآيات الربا فى القرآن الكريم .

ثانيا : هدف الدراسة

هدف الدراسة اثبات أن المنظومة المعرفية لآيات الربا فى القرآن الكريم جاءت على نحو معجز . هذا الهدف يجعل دراستنا ترتبط بموضوع إعجاز القرآن الكريم وهو موضوع عنه دراسات كثيرة ومتنوعة . نحاول أولا التعرف على وجه الإعجاز فى القرآن الكريم كما قاله المتخصصون فى هذا المجال وبعد ذلك نحاول تحديد وجه الأعجاز الذى تعمل عليه الدراسة .

١ – فى كتاب الطراز المتضمن لأسرار البلاغة وعلوم حقائق الإعجاز عرض مؤلفه أقوال العلماء فى وجوه اعجاز القرآن الكريم (١) (٢) .

القول الأول : وجه إعجاز القرآن إنما هو الأسلوب ، فأسلوبه مخالف لسائر الأساليب الواقعة فى الكلام كأسلوب الشعر وأسلوب الخطب والرسائل .

القول الثاني : وجه إعجاز القرآن إنما هو خلوه عن المناقضة .

---

(١) الإمام يحيى بن حمزة بن على بن إبراهيم العلوى اليمنى ؛ كتاب الطراز المتضمن لأسرار البلاغة وعلوم حقائق الإعجاز ، جـ ٣، مكتبة المعارف بالرياض ، ص ٣٨٧ – ٤٢٠ .

(٢) هناك مذهب فى وجه اعجاز القرآن هو المعروف بإسم الصرف ، ومعناه أن الله صرف العباد عن معارضة القرآن مع كونهم قادرين عليها ، وهذا رأى النظام والنصيبى من المعتزلة وهناك من تبعهم .

القول الثالث : وجه إعجاز القرآن إشتماله على الأمور الغيبية .

القول الرابع : وجه إعجاز القرآن هو الفصاحة ، وفسرت بسلامة الألفاظ عن التعقيد .

القول الخامس : الوجه فى الإعجاز هو إشتماله على الحقائق وتضمنه للأسرار والدقائق التى لا تزال غضة طرية على وجه الدهر ما تنال لها غاية ولا يوفق لها على نهاية .

القول السادس : الوجه فى إعجازه هو البلاغة ، وفسرت بإشتماله على وجوه الإستعارة والتشبيه والفصل والوصل والتقديم والتأخير والإضمار والإظهار إلى غير ذلك .

القول السابع : الوجه فى إعجازه هو النظم ، فنظمه وتأليفه هو الوجه الذى تميز به من بين سائر الكلام .

القول الثامن : وجه اعجازه هو ما تضمنه من المزايا الظاهرة والبدائع الرائقة فى الفواتح والمقاصد والخواتيم فى كل سورة وفى مبادى الآيات وفواصلها .

القول التاسع : وجه إعجاز القرآن هو مجموع هذه الأمور كلها فلاقول من هذه الأقوال إلا هو مختص به [1].

٢- من إعجاز القرآن منظومته المعرفية

كلما تقدم الإنسان وارتقى فى العلوم والمعارف تتبين له حقائق جديدة فى القرآن الكريم . يعنى هذا أن تقدم الإنسان معرفيا يكشف عن أسرار جديد للقرآن الكريم ، على سبيل المثال تقدم الإنسان فى العلوم الطبيعية مكنه من أن يفهم فهما جديدا بعض آيات القرآن الكريم التى تتكلم عن مراحل خلق الإنسان وتطوره . وما يقال عن علم الطب يقال عن علم الفلك وغيرهما من العلوم .

فى السنوات الأخيرة كان هناك توجه واضح من بعض المتخصصين فى العلوم المعملية (البحتة) لدراسة بعض ما جاء فى القرآن من زاوية تخصصهم ، لذلك قد يغلب على الذهن أنه عندما يقال أن تقدم الإنسان فى العلوم يكشف عن حقائق جديدة فى القرآن الكريم أن هذا القول موجه إلى العلوم المعملية ، لكن فى حقيقة الأمر إن

---

(١) المؤلف الذى أحلنا إليه فى عرض المذاهب المذكورة غاير فى الترتيب بين الثامن والتاسع ، ولكنا راعينا المعقولية فى الترتيب بينهما وبعد تمام عرضه لخص المذاهب التسعة فى ثلاث خصائص تجمع وجه اعجاز القرآن الكريم هى : (١) الفصاحة فى الفاظه ، (٢) البلاغة فى المعانى ، (٣) جودة النظم وحسن السياق .

التقدم فى العلوم الإجتماعية والتى تسمى أحيانا بالعلوم الإنسانية يفتح أفاقا جديدة لفهم بعض أسرار القرآن الكريم فى مجالات تخصص هذه العلوم .

" المعرفة " تحقق فى دراساتها تقدم واضح ، والتراكمات المعرفية فيها كثيرة . يمكن توظيف التراكمات المعرفية عن المعرفة لمحاولة تقديم فهم جديد عن إعجاز القرآن الكريم ، هذه المحاولة الجديدة تقترح أن تكون تحت عنوان المنظومة المعرفية . هذه المنظومة تكون للموضوعات التى عرض لها القرآن الكريم وحيث أن الموضوع الذى تعمل عليه الدراسة هو الربا ، لهذا فإن موضوع هذه الدراسة هو الإعجاز فى المنظومة المعرفية لآيات الربا فى القرآن الكريم .

مصطلح المنظومة المعرفية يسع كل الأقوال التى ذكرت عن إعجاز القرآن الكريم ويضيف إليها جديدا ، من الجديد الذى تضيفه الدراسة تحت عنوان المنظومة هو إظهار الإرتباطات بين الموضوع محل الدراسة والموضوعات التى أحاطت به ، ومن هذا الجديد بيان كيفية صياغة هذه الإرتباطات ، ومن هذا الجديد تحديد الموضوعات وتحديد درجة إرتباطها بالموضوع محل الدراسة . ومن هذا الجديد الإطار الذى نظمت به هذه الإرتباطات ، ومن هذا الجديد جعل موضوع ما يمثل المحور الإرتكازى ثم إحاطته بأطر ولترتيب هذه الأطر منهجها .

مصطلح " المنظومة " يدخل فيه أيضا ما يمكن أن يقال عنه الوعاء أو الشكل أو الصيغة التى جاء فى إطارها الموضوع محل الدراسة والموضوعات التى ربطت به .

مصطلح المنظومة يسع أيضا فكرة " الأزمنة " للموضوع محل الدراسة ، إن كل تشريع له أبعاده الزمنية . العمل مع عنوان منظومة بالشمولية التى يعنيها هذا المصطلح يتيح إظهار البعد الزمنى فى النص الوارد به التشريع .

الإتساع فى مصطلح المنظومة وكذلك المنهجية فيها يتيح توظيف المعارف المكتسبة والمتعلقة بالموضوع محل الدراسة . يضاف إلى هذا أن العمل مع مصطلح المنظومة يلزم بإظهار كل الأبعاد المتعلقة بالموضوع بتعددها وتنوعها .

٣- بصدد تحديد هدف الدراسة فإنه تجدر الإشارة إلى أمر مستهدف بصفة رئيسية ، هذا الأمر هو تعميق المساهمات التى تعمل علي إظهار مساوئ التعامل بالربا ، وتعميق الإنتقادات الموجهة إليه . لذلك نعتبر أن هذه الدراسة تدخل فى هذه المساهمات.

ثالثا : أسلوب الدراسة ومصادرها

أ- أسلوب الدراسة

الأسلوب الذى اختير للكشف عن المنظومة المعرفية لآيات الربا فى القرآن الكريم إعتمد المنهج التالى : إعتبار الآية أو الآيات التى ذكر فيها الربا وحده ، ثم درست هذه الآية أو الآيات تحت عنوان السياق الداخلى لآية أو آيات الربا ، وقد امتدت دراسة هذا السياق الداخلى بحيث تشمل كل الأبعاد التى رئى أنها تدخل فى الدراسة .

نظر بعد ذلك فى الآيات التى جاءت سابقة على آيات السياق الداخلى والآيات التى جاءت تالية ، ثم حللت بإعتبار أنها تمثل الإطار الذى أحاط بآيات السياق الداخلى ، أى أحاط بموضوع الربا . قسم الإطار إلى أطر متعددة بحسب الموضوعات التى ذكرت ، ثم ربطت الموضوعات التي جاءت فى الأطر بموضوع الربا وحللت تحليلا واسعا من أوجه متعددة .من هذه الأوجه طبيعة الموضوع ومجاله بل وارتباطه بالزمن .

بعبارة أخرى يمكن القول أن اسلوب الدراسة اعتبر أن موضوع الربا هو محور الإرتكاز ودرست الآيات السابقة عليه والتالية له على أنها إطار لهذا الموضوع الإرتكازى .

فى هذا الصدد تجدر الإشارة إلي ما يلى : بشأن الموضوع الإرتكازى فإن أى موضوع جاء فى القرآن الكريم يمكن أن يعتبر محور الإرتكاز وتدرس الآيات السابقة عليه والتالية له على أنها تمثل الإطار المحيط به . نرى فى هذا الصدد أن نذكر ما يلى:

١- بناء الدراسة على أساس وجود الموضوع الإرتكاى لن يجعل القرآن الكريم يفهم علي أنه مجموعة دوائر مستقلة عن بعضها ، بل إن الدوائر متداخلة . ذلك أن الموضوع الإرتكازي فى دراسة ما يكون إطارا أو دائرة لموضوع إرتكازى فى دراسة أخرى .

٢- فكرة الموضوع الإرتكازى ؛ أى الموضوع الممثل لمحور الإرتكاز والأطر أو الدوائر المحيطة به له صلته بالدراسات القرآنية المعروفة بإسم دراسة السياق ، بعبارة أدق إنه تطوير لدراسة السياق ، إنه دراسة للسياق فى الشكل الجديد الذى نقترحه وهو المنظومة المعرفية .

بشأن تحديد أسلوب الدراسة تجدر الإشارة إلى أنه قد استخدمت اللوحات البيانية كأسلوب للتعبير فى هذه الدراسة . استخدام اللوحات البيانية يتيح العرض المركز فى لقطة واحدة لكل العناصر الفاعلة فى الموضوع ، ويساعد هذا فى تيسير إكتشاف الإرتباطات القائمة بين العناصر بعضها مع بعض وكذلك الإرتباطات بين العناصر والموضوع المحورى أى الإرتكازى .

ب- مصادر الدراسة

يتبين من اسلوب الدراسة الذى سبقت الإشارة إليه أن طبيعة هذا البحث أنه بشكل ما تطوير لدراسة السياق ، وهي فرع من الدراسات القرآنية ، هذا جانب . وجانبٌ آخر أن هذا البحث يتبنى فرضية هى وجود موضوع محورى أو إرتكازى ، وأن هذا الموضوع المحورى له منظومته الداخلية ، وله أطره المحيطة به ، وهذه الأطر لها منظومتها التى تتكامل وتتناسق مع المنظومة الداخلية للموضوع المحورى أو الإرتكازى. ومن تتمة الفرضية أن هذه المنظومة بشقيها قد جاءت على نحو معجز . هذا الإعجاز له جوانبه المتعددة ، إثبات هذه الفرضية أى إثبات الاعجاز فى المنظومة للموضوع محل الدراسة وهو الربا يكون إثباتا فى شكل معرفى جديد للإعجاز القرآنى .

طبيعة البحث على هذا النحو المبين لا يتطلب مصادر أو مراجع ، ذلك أن البحث يعتمد على النظر العقلى لإستنباط المنظومة المعرفية للموضوع محل الدراسة . وهو نظر عقلى مجرد ليس تجميعا لآراء سابقة قدمت عن هذا الموضوع .

زيادة فى إيضاح هذه الفكرة نذكر الآتى : إن هذا البحث لم يتأسس على إختيار موضوع سبقت دراسته ، وفيه آراء تمثل مساهمات سابقة فيه ، وبالتالي يتطلب بحث هذا الموضوع عرض المساهمات السابقة بمراجعها ، ويعني هذا أن وجود مراجع أو مصادر للدراسة يكون أمرا ضروريا .

إن الدراسة التى نقدمها فى هذا البحث ذات طبيعة أخرى ، إنها تتبنى فرضية وتحاول إثبات هذه الفرضية بالنظر مباشرة فى القرآن الكريم . والبحث على هذا النحو لا يتطلب مصادرأو مراجع .

تطبيقا لذلك فإن هذا البحث لم تظهر فيه مصادر أو مراجع ، وما جاء منها فإنه كان لتفسير كلمة قرآنية اقتضت الضرورة الإحالة إلى مصدر فى تفسيرها وقد كان هذا الأمر محدودا للغاية .

رابعا : تعريف الربا وحكمه

هدف الدراسة إستنتاج المنظومة المعرفية لآيات الربا فى القرآن الكريم . بناء على هذا فإنه ليس مستهدفا تقديم دراسة فقهية عن الربا ؛ تعريفه وأنواعه وحكمه ، والمعاملات الحديثة التى دار حولها خلاف فقهى من حيث كونها ربوية أم لا ، هذه العناصر الفقهية عن الربا وغيرها ليست موضوع دراستنا . إن الدراسة موجهة كلية إلى اكتشاف المنظومة المعرفية للربا فى القرآن الكريم .

مع أن فقه الربا ليس موضوع الدراسة إلا أنه من مكملات البحث أن يعرض لتعريف الربا ولحكمه . إن عرض التعريف يعني تحديد معنى المصطلح الذى نتكلم عنه. ومع إقتراحنا بتقديم تعريف للربا ولحكمه إلا أنه قبل أن نقدم ذلك نرى أنه من الضرورى أن نذكر ما يلى :

١- لن نذهب فى تعريف الربا إلي حد عرض الإختلافات الفقهية المعروفة فى هذا الصدد وإنما سنعمل على تقديم تعريف فى أضيق نطاق ممكن .

٢- لن تدخل الدراسة فى مناقشة حول بعض المعاملات المعاصرة والتى يدور خلاف حول ربويتها أو عدم ربويتها .

٣- لن تمد الدراسة لمناقشة الإختلافات الفقهية حول أنواع الربا .

بهذه التحفظات تستبقى الدراسة أو تحفظ للهدف الذى حدد وهو دراسة المنظومة المعرفية للربا فى القرآن الكريم .

أ- تعريف الربا

الموسوعة الفقهية الصادرة عن وزارة الأوقاف والشئون الإسلامية بالكويت عمل فقهى علمى معاصر ، وهى مقبولة تحت هذا التصنيف أى موسوعة . وقد اختيرت عمدا لتقديم تعريف عن الربا محالا إليها ذلك أنه يحقق اشباع التحفظات المشار إليها [١] .

الربا فى اللغة معناه الزيادة ، أما فى إصطلاح الفقهاء فإنه يعرف على النحو الآتى:

عرفه الحنفية بأنه : فضل خال عن عوض بمعيار شرعى مشروط لأحد المتعاقدين فى المعاوضة .

عرفه الشافعية بأنه : عقد على عوض مخصوص غير معلوم التماثل فى معيار الشرع حالة العقد أو مع تأخير فى البدلين أو أحدهما .

عرفه الحنابلة بأنه : تفاضل فى أشياء ونسأ فى أشياء ، مختص بأشياء ورد الشرع بتحريمها ، أى تحريم الربا فيها نصا فى البعض وقياسا فى الباقى منها .

ب- حكم الربا

الربا محرم بالكتاب والسنة والاجماع ، وهو من الكبائر ، ومن السبع الموبقات ، ولم يؤذن الله تعالى فى كتابه عاصيا بالحرب سوى آكل الربا .

---

(١) وزارة الأوقاف والشئون الإسلامية ، الموسوعة الفقهية ، جـ ٢٢ ، الطبعة الثانية ، ١٤١٢ ، ١٩٩٢، الكويت ، ص ٤٩ - ٥٠ .

قال الماوردى إن الربا لم يحل فى شريعة قط وقد حرم الربا بالكتاب ، كما ورد فى تحريمه أحاديث كثيرة ، واجمعت الأمة على أصل تحريمه ، وإن إختلفوا فى تفصيل مسائله وتبيين أحكامه وتفسير شرائطه .

أثر عن السلف أنهم كانوا يحذرون من الإتجار قبل تعلم ما يصون المعاملات التجارية من التخبط فى الربا . ومن المعروف أن باب الربا من أشكل الأبواب على كثير من أهل العلم .

خامسا: آيات الربا فى سورة النساء

ذكر الربا فى القرآن الكريم فى أربع سور، الروم والنساء وآل عمران والبقرة ، تركزت دراستنا على ثلاث سور : الروم وآل عمران والبقرة ، وقد درس الربا فى هذه السور الثلاث بتفصيلات واسعة . لخدمة هدف الدراسة نري أن نكتب فقرة مختصرة فى هذه المقدمة عن الربا فى سورة النساء وذلك لتكتمل دراسة الربا فى القرآن الكريم.

جاء ذكر الربا فى سورة النساء فى الآية ١٦١ . الآية ١٦٠ وإن لم يذكر فيها الربا إلا أنها تكوّن وحدة واحدة مع الآية ١٦١ . يقول الله سبحانه وتعالى :

" فبظلم من الذين هادوا حرمنا عليهم طيبات أحلت لهم وبصدهم عن سبيل الله كثيرا . وأخذهم الربا وقد نهوا عنه وأكلهم أموال الناس بالباطل وأعتدنا للكافرين منهم عذابا أليما " النساء : ١٦٠ – ١٦١

١ – تحكى الآيتان عن اليهود وهم قوم عرفوا على طول التاريخ بأنهم يتعاملون بالربا ، بل ويسعون إلى نشره وتدعيم التعامل به . عرض القرآن الكريم قصص أمم كثيرة سابقة على نزول القرآن الكريم وقد حرص على تسجيل التعامل بالربا على اليهود ، وهو تسجيل فيه إدانة .

خص اليهود بالتسجيل عليهم فى القرآن الكريم بأنهم يتعاملون بالربا هو معجزة قرآنية . هذه المعجزة لها إثباتها التاريخى فى الماضى ، ولها إثباتها فى واقع الإقتصاديات المعاصرة .

٢ – جمعت الآية ١٦١ بين الربا وأكل أموال الناس بالباطل ، هذا الجمع هو صريح فى أن الربا هو نوع من أكل أموال الناس بالباطل .

٣ – من المعانى التى تستنتج من الآيتين أن الربا قرين الظلم والآثار السيئة التى تترتب عليهما واحدة ،والعقاب عليهما متماثل .

٤- جمعت الآيتان بين الصد عن سبيل الله والتعامل بالربا . يفيد هذا الجمع التجريم القوى والعنيف للتعامل بالربا . ذلك أن الصد عن سبيل الله تجريمه واضح ويكون جمع التعامل بالربا معه فى سلة واحدة لبيان درجة التجريم فى هذا التعامل الربوى .

٥- تبين الآيتان أربعة أخطاء لليهود وترتب على الأخطاء الأربعة عقوبتان . العقوبة الأولى فى الدنيا وتتمثل فى تحريم طيبات كانت حلالالهم ، والعقوبة الثانية فى الآخرة وهى العذاب الأليم . يستنتج من هذا أن العقوبة على التعامل بالربا تكون فى الدنيا والآخرة .

٦- يمكن تصنيف الأخطاء الأربعة فى ثلاث مجموعات .

أ- المجموعة العقيدية ، ويشير إليها : وبصدهم عن سبيل الله .

ب- المجموعة السياسية والإجتماعية ويشير إليها : فبظلم من الذين هادوا . ذلك أن مصطلح الظلم عندما يستخدم فى الإشارة إلى أمة فإن المعنى السياسى يكون هو المعنى القريب .

جـ- المجموعة الإقتصادية ويشير إليها : وأخذهم الربا وقد نهوا عنه وأكلهم أموال الناس بالباطل .

إن مجئ آيتين قصيرتين فى القرآن الكريم بحيث تجمعان كل جوانب الحياة للإنسان ، العقيدية والسياسية والإجتماعية والإقتصادية - هذا الأمر على هذا النحو هو شكل من أشكال الإعجاز القرآنى .

يضاف إلى هذا أن العقوبة إما أن تكون فى الدنيا أو فى الآخرة . أيضا أن تجمع هاتان الآيتان القصيرتان نوعى العقوبة المحتملة ، أى أنهما تحصران أنواع العقوبة فهذا أيضا شكل من أشكال الإعجاز القرآنى .

٧- الإطار الذى يحيط بالآيتين ١٦٠و١٦١ ، وهما آيتا السياق الداخلى شديد الإرتباط ، ذلك أن موضوع الآيات السابقة على آيتى السياق الداخلى هو حديث عن رسول ورسالة وموضوع الآيات التالية لأيتى السياق الداخلى هو حديث عن رسل ورسالاتهم .

سادسا : الوقت الذى استغرقته الدراسة

يرجع اهتمامى بموضوع القرآن الكريم والاقتصاد إلى سنوات بعيدة . ففى أوائل الثمانينات كتبت كتابا عن منهج الادخار والاستثمار فى الاقتصاد الإسلامى . يمكن القول أن الفقرة الخاصة بالضوابط العاملة على الاقتصاد فى هذا الكتاب قد جاءت دراسة فى موضوع القرآن والاقتصاد .

في الربع الأخير من الثمانينات أتيح لى العمل فى مشروع التكشيف الإقتصادى للقرآن الكريم ، وهو مشروع تبناه المعهد العالمى للفكر الإسلامى . تواصل العمل فى هذا المشروع المبارك لفترة طولها ست سنوات ، وقد انجز مع بعض الأخوة الكرام بفضل الله سبحانه . فتح العمل فى هذا المشروع آفاقا واسعة بالنسبة لموضوع القرآن والإقتصاد كما آتاح الحصول على مادة علمية غزيرة عن جوانب اقتصادية متعددة في القرآن الكريم . فى الأعوام الثلاثة الأخيرة هيأ الله سبحانه وتعالى أن أقوم بتدريس مقرر القرآن والإقتصاد بالمعهد الدولى للاقتصاد الإسلامى التابع للجامعة الإسلامية العالمية – إسلامية آباد – باكستان . ومع هذه المرحلة انتقلت من مجرد جمع مادة علمية عن موضوع القرآن والإقتصاد إلى الكتابة عن موضوعات محددة ، ويعتبر موضوع الربا فى القرآن الكريم من أوائل الموضوعات التى بدأت الكتابة فيها .

يمكن القول أن هذه الدراسة التى أقدمها عن موضوع الإعجاز فى المنظومة المعرفية لآيات الربا فى القرآن الكريم هى ثمرة عمل متواصل لحوالى عشر سنوات مع الموضوع الأم وهو القرآن الكريم والاقتصاد .

فى لقاء مع الأخ الفاضل الدكتور على جمعه المستشار الأكاديمى للمعهد العالمى للفكر الإسلامى بالقاهرة تكلمت معه عن هذا الموضوع وهو الإعجاز فى المنظومة المعرفية لآيات الربا فى القرآن الكريم فأبدى موافقة كريمة بأن يقوم المعهد العالمى بنشره . ومنذ هذا اللقاء عملت على إعداد هذه الدراسة فى صورتها الأخيرة وقد استغرق ذلك عاما بكامله . والحمد والشكر لله سبحانه وتعالى .